٤٧ الفَوْزُ العَظِيم

قَالَ رَبُّ العِزَّةِ سُبْحانَهُ في الحديثِ القُدْسِيِّ:

«أَيّما عَبْد مِنْ عِبادي خرجَ مُجاهداً في سَبِيلي، ابْتِغاءَ مَرْضَاتِي، ضَمَنْتُ له أَنْ أُرجِعَهُ بما أصابَ مِنْ أَجْر وغنيمةٍ، وإنْ قَبَضْتُه أنْ أغفر له، وأرْحمه، وأُدْخِلَه الجنَّة» (١).

يقول الحق سبحانه:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة]

إن الله ـ عز وجل ـ يقول للذين آمنوا: اعلموا أنكم مُقْبِلون على مشقَّات وعلى متاعب، وعلى أنْ تتركوا أموالكم، وعلى أنْ تتركوا لذّتكم وتمتعكم، لذلك نجد كبار السَّاسة الذين برعوا فى السياسة ونجحوا فى قيادة مجتمعاتهم كانوا لا يحبون لشعوبهم أن تخوض المعارك إلا مضطرين، فإذا ما اضطروا فَهُم يُوضِّحون لجندهم أنهم يدرأون بالقتال ما هو أكثر شراً من القتال، ومعنى ذلك أنهم يُعبِّئون النفس الإنسانية حتى تواجه الموقف بجِماع قُوَاها، وبجميع ملَكاتها، وكُل إرادتها.

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٢/ ١١٧)، والنسائى فى سننه (٦/ ١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

لَكُمْ...﴿٢١٦﴾{البقرة}، إنه سبحانه يقول لنا ، أعلم أن القتال كُرْه لكم ، ولكن أردتُ أن أشيع فيكم قضية ، هذه القضية هى ألاَّ تحكموا فى القضايا الكبيرة فى حدود علْمكم ؛ لأن علمكم دائماً ناقصٌ ، بل خُـذُوا القضايا من خلال علمى أنا ؛ لأننى قد أُشرِّع مكروهاً ، ولكن يأتى منه الخير ، وقد ترونَ حُباً فى شىء ، ويأتى منه الشر.

وفى ذِكْـر أمـر الكُرْه إنصافٌ لـهم ، فصـحيح أن القـتال أمـر صـعب ويكرهه الإنسان ، لكن الحق قد كـتبه ، والمسلم إذا استحضر الجـزاء عليه فهو يحتقر ما يتركه ؛ لأنه قليل بالنسبة لعطاء الله.

والحق سـبحانه يـقول لنبيـه: ﴿ **يَا أَيُّهَـا النَّبِيُّ حَـرِّضِ الْمُـؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ..﴿٦٥﴾** ﴾ {الأنفال}

وسـاعةَ تسـمع أن فـلاناً يُحـرِّض فلاناً ، فـهذا يعنـى أنه يحثُّـه ، ويثيـر حماسه ، ويُغريه على أن يفعل ، أى: حثُّهم وحُضَّهم وحَمسِّهم.

أى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يطلب من رسوله ﷺ تحريض المؤمنين على الجهاد ، وكـأنه يقول له : ادْع قومك إلى أن يبعـدوا الدنو من الهلاك عن أنفـسـهم ؛ لأنهم إنْ لم يجـاهدوا تغـلب عليـهم أهل الكفـر، فـأهل الكفـر يعيشون فى الأرض بمنهج السيطرة والغَلَبة والجبروت .

وحين يجـاهدهم المؤمنون إنما ليوقفوهم عند حـدهم ؛ ولذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴿٦٥﴾** ﴾ {الأنفال}

فكأنهم إنْ لم يحاربوا أهل الكفـر فسوف يحيط بهم الهـلاك فى الدنيا وفى الآخرة ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يريد لهم الحياة الآمنة الكريمة فى الدنيا، والجنة فى الآخرة.

والقتال لابُدَّ أن يكون فى سبيل الله، قال تعالى :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ {البقرة}

فعندما نتأمل قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ {البقرة}

فإننا نجد أن الحق سبحانه يؤكد على كلمة «فى سبيل الله» لأنه يريد أن يضع حَداً لجبروت البشر، ولا بُدَّ أن تكون نية القتال فى سبيل الله ، لا أنْ يكون القتال بنيّة الاستعلاء والجبروت والطغيان.

فلا قتالَ من أجل الجاه أو المال أو لضمان سوق اقتصادى ، وإنما القتال لإعلاء كلمة الله ، ونُصْرة دين الله ، هذا هو غرض القتال فى الإسلام.

والحق سبحانه يقول فى آية أخرى :

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) ﴾ {النساء}

فالمؤمن هنا يعطى الدنيا ليأخذ الآخرة التى تتمثل فى الجنة والجزاء ومنزلة الشهداء.

فالقتال إنما جاء حتى تُسيطر مناهج السماء ، وسبحانه حينما يقول: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. (٧٤)﴾{النساء} فهذا يدلُّنا على أن هناك قتالاً فى غير سبيل الله ، كأنْ يقاتل الرجل حميّة ، أو ليُعلم مكانه من الشجاعة ، فقتال الرجل دائماً حَسْب نيته.

ولذلك، تساءل بعض الناس : مَنِ الشهيد؟ قال العلماء: هو من قاتل

لتكون كلمة الله هى العليا فيكون شهيداً . إذن : فالقتال يكون مرة فى سبيل الله ، ومرة يكون فى سبيل النفس ، ومرة يكون فى سبيل الشيطان.

فكلمة «الجهاد فى سبيل الله» تُخصِّص لوناً من الجهاد ، فالإنسان قد يجاهد حَمِيَّةً أو دفاعاً عن جنسيته ، أو أى انتماء آخر ، كل هذه الانتماءات فى عُرْف الدين لا قيمةَ لها ، إلا إذا نبعتْ من الانتماء إلى منهج الله ، لتكون كلمة الله هى العليا.

وعندما سُئِل رسول الله ﷺ عن أفضل القتال ، فيما جاء عن أبى موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: الرجل يقتال للمغنم، والرجل يقاتل للذكْر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ، فمَنْ فى سبيل الله ؟

قال: «مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»(١).

ولذلك يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)** ﴾ {التوبة}

فأنت لم تذهب للقتال من أجل الغنائم ، أو لتكسب مكانة فى مجتمعك كمقاتل، بل أنت تقاتل حين يكون القتال مطلوباً ، وتسلك بالخُلُق الإيمانى اللائق فى إطار أنك من المتقين لله ، وتحارب لتكون كلمة الله هى العليا.

وهنا تكون معية الله لك ، فالحق سبحانه هو خالق النفس البشرية ، وهو العليم بها حين تكون أمام قوة لم تحسب حسابها ، وكيف تعانى النفس من كَرْب عظيم ، خصوصاً إذا كان ذلك فى ميدان القتال؟

ولذلك طلب من المؤمنين أنْ يتذكّروا دائماً أنهم ليسوا وحدهم فى

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٨١٠)، وأحمد فى مسنده (٤/ ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢) ومسلم فى صحيحه (١٩٠٤) من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه .

المعركة ، وأنه سبحانه وتعالى معهم ، فليذكروا هذا كثيراً ليوالى نصرهم على عدوهم ، لأنهم إذا ما داوموا على ذِكْر الله تعالى فسيقوى هذا الذكْر إيمانهم ، ويجعل فى قلوبهم الشجاعة اللازمة لتحقيق النصر .

وذِكْر الحق سبحانه كلمة (كثيراً) هنا يعنى أن الإنسان قد يذكر الله عند اليأسِ فقط ، فإنْ جاءت الحياة بعد ذلك بالرخاء فقد ينسى ذِكْر الله .

لذلك يؤكد ـ سبحانه وتعالى ـ هنا أن يكون ذِكْر الله كثيراً ، ليوالى الله نَصْر المؤمن على عدوه، ومثال ذلك : أننا نجده ـ سبحانه وتعالى ـ حينما يستحضر الخَلْق المؤمنين للصلاة فى يوم الجمعة يقول :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠** ﴾ {الجمعة}

يطلب الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك من المؤمنين ، وهو العليم بأنهم يداومون الولاء له سبحانه كل يوم خمس مرات ، ثم بعد صلاة الجمعة يطالبهم بالانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله تعالى ، ويُنبهنا أن نداوم على ذِكْره ، فكأنه يقول : إياكم أنْ تلهيكم أعمالكم ومصالحكم الدنيوية عن ذِكْر الله ، أو تعتقدوا أن ذِكْر الله فى المسجد أو وقت الصلاة فقط ، بل داوموا على ذِكْر الله فى كل أحداث الحياة ، فإنْ فعلتم ذلك وذكرتم الله كثيراً ، فستكونون من المفلحين.

وذِكْر الله كثيراً معناه أنك تشعر فى كل لحظة أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ معك ، فتخشاه وتحمده وتستعين به ، وهكذا تكون الصِّلَةُ دائمة بينك وبين الله عَزَّ وجَلَّ فى كل وقت.

والحق سبحانه يعقد صفقة مع المؤمنين المجاهدين ، فيقول تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾{التوبة}

تلك هى الصفقة التى يعقدها الحق سبحانه مع المؤمنين ، وهو سبحانه يريد أن يعطينا ما نتعرَّف به على الصفقات المربحة ، فكلٌّ منّا فى حياته يحب أن يعقد صفقة مربحة بأن يعطى شيئاً ويأخذ شيئاً أكبر منه.

ولذلك يقول فى آية أخرى:

﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) ﴾ {فاطر}

هنا أيضاً تجارة ، وأنت حين تريد أن تعقد صفقة عليك أنْ تقارن الشىء الذى تعطيه بالشىء الذى تأخذه ، ثم افرق بينهما، ما الذى يجب أنْ يضحى به فى سبيل الآخر؟

والحق سبحانه وتعالى قد وصف الحياة بأنها «الدنيا» ولايوجد وَصْف أدنى من هذا، فأوضح المسألة : إنك ستعطى الدنيا وتأخذ الآخرة ، فإذا كان الذى تأخذه فوق الذى تعطيه فالصفقة ـ إذن ـ رابحة ، فالدنيا مهما طالتْ فإلى نهاية ، ولا تقُلْ كم عمر الدنيا، لأنه لايعنيك أن يكون عمر الدنيا ألفَ قرن، وإنما عمر الدنيا بالنسبة لكل فرد: هو مقدار حياته فيها ، وإلا فإنْ دامت لغيرى فما نفعى أنا ؟

إذن: فقيمة الدنيا هى مقدار عمرك فيها ، ومقدار عمرك فيها مظنون ، فعمر الدنيا بالنسبة لكل إنسان هو مقدار حياته فيها ، فلا تقارنها بوجودها

معك أنت ، وهَبْ أنه متيقن ، ولكنه محدود بسبعين عاماً على سبيل المثال، ستجد أن تنعُّمك خلالها مهما كَبُر وعَظُم فهو محدود.

فإنْ قارنتَ المحدود بغير المحدود ستجد الغَلَبة للآخرة ؛ لأنها مُتيقنة والنعيم فيها على قَدْر سعة فَضْل الله وقدرته ، فالأحسن لنا أن نبيع الدنيا ونأخذ الآخرة ، فتكون هذه هى الصفقة الرابحة التى لا تبور .

ولماذا يُدخِل الله العبدَ فى عملية البيع هذه ؟ لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قبل أنْ يعرض عليك الصفقة لتدخل فى عملية البيع التى تجهدك إنْ لم تقتل أو تُقتل فى سبيل الله ، لابُدَّ أنْ يوضح لك كيفية الغاية التى تأخذ بها الفوز فى الآخرة ، ولن نأخذ هذا الفوز بالكلام فقط.

ولكن انظر إلى المنهج الذى ستقاتل من أجله ، إنه تأسيس المجتمع الذى يؤدى كل امرىء فيه الأمانة ، وهذا الأمر لا يحزن منه إلا مَنْ يريد أن يأخذ عرق الناس ويبنى جسمه من كَدِّهم وتعبهم ، وهات مجتمعاً لا يؤمن بالله وقُلْ: يأيها الناس نريد أن يؤدى كل واحد منكم الأمانة التى عنده ، نريد أن نحكم بالعدل ، فسيفرح أهل هذا المجتمع.

إذن : فلكى نحمى المجتمع لا بُدَّ أن نؤدى الأمانة، وأن نقيم العدالة، ومن قبل ذلك أُمرنا أن نعبد إلهاً واحداً فلا نتشتت ، ثم أوصانا بالوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين.

قُلْ لى بالله عليك ، لو لم يكن هذا ديناً من السماء ، وكان تشريعاً من أهل الأرض ، أهناك أعدَلُ من هذا؟

إن مِثْل هذا المنهج الذى يكفل أمان الجميع يستحق أن يدافع الإنسان

عن تطبيقه ، وقبل أن يفرض علينا القتال أوضح سبحانه : هذا هو المجتمع الذى ستقاتلون من أجله.

واعلم أنك ساعة تذهب إلى القتال ، أقصى ما فيها أن تُقتل ، فستأخذ صفقة الآخرة ، وقصرت مسافة غاياتك ؛ لأن كل شىء إنما يُقاس بزمن الغاية له ، فإنْ قُتِلْت فقد قصرت المدة للوصول إلى الغاية ، فتصل إلى الجنة.

والحُمْق هو الذى يصيب الناس عندما يموت عزيز أو حبيب فيغرقون فى الحزن ، نقول لهم : ألسنا جميعاً سائرين إلى هذه الغاية ، فلماذا الغرق فى الحزن إذن؟

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ يكافىء مَنْ يُقتل فى سبيل الله بحياة فى عالم الغيب ، وفيها رزق أيضاً.

يقول تعالى : ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤)**﴾ {البقرة}

فالله ـ تبارك وتعالى ـ أراد أن يفهم المؤمنون أن الذى يُقتل فى سبيل الله لا يموت ، وإنما يعطيه الله لَوْناً جديداً من الحياة ، فيه من النعم ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى ، فهو حَىٌّ عند ربه ينتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة مباشرة ، ولا يكتب عليه الموت فى حياة البرزخ حتى يوم القيامة مثل من يموت ميتة طبيعية ولا يموت شهيداً ؛ ولأن هذه الحياة حياة الشهداء أخفى الله سبحانه عنا تفاصيلها ، لأنها من حياة الآخرة ، وهى غيب عنا قال تبارك وتعالى :

﴿**وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤)**﴾ {البقرة}

وما دُمْنَا لا نشعر بها فلا بُدَّ أن تكون حياة أعلى من حياتنا الدنيوية.

فالحق ـ جَلَّ جلاله ـ يعطى الشهداء حياةً دائمة خالدة ؛ لأنهم ماتوا فى سبيله ، ومادام قال تعالى :﴿لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾ {البقرة} فلا تحاول أنْ تدركها بشعورك وحِسِّك ؛ لأنك لن تدركها ، على أن الشهيد لا بُدَّ أنْ يُقتل فى سبيل الله ، وليس لأىِّ غرض دنيوى ، وإنما لتكون كلمة الله هى العليا.

وفى آية أخرى يقول سبحانه:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩)﴾ {آل عمران}

فأنتم تخافون الموت، ولكن هؤلاء الذين قُتِلوا فى سبيل الله ليسوا بميتين ؛ لأن حياتهم حياة موصولة: إن هناك فارقاً كبيراً بين الموت والشهادة ، فالذى يُقْتَل شهيداً تكون حياته موصولة ، ولن يمر بفترة موتنا نحن ، ولنفهم أنهم أحياء عند ربهم أىْ بقانونه سبحانه ، فلا تُحكّم قانونك أنت ، فأنت ـ كما قلت ـ لو فتحت القبر ستجد هؤلاء القَتْلَى مجرد أشلاء ، هم عندك أشلاءٌ وأموات فى قانونك أنت ، لكنهم أحياء عند ربهم يُرزقون.

فالحياة تختلف عن الموت فى ماذا ؟

إن الإنسان إذا زهقتْ روحه وفارقتْ جسده انقطعتْ حياته ، فى ظاهر الأمر انتهى ولم يَعُد ينتفع برزق ولا بأكل ؛ لأن الرزق جُعِل لاستبقاء الحياة ، وما دام الرزق قد صُنِع لاستبقاء الحياة وليس فيه حياة إذن: فلا رِزْقِ ، لكن الله سبحانه يريد أنْ يعطينا مواصفات تؤكد أن الشهيد حَىٌّ.

ومن ضروريات الحياة أنه يُرزق ، أى : ينتفع باستبقاء الحياة ، وعلينا أن نفهم أن العِنْدية عندك غير العِنْدية عند الله ، فالشهيد حَىٌّ عند ربه ويُرزق عند ربه رِزْقاً يناسب الحياة التى أرادها له ربه.

ونعلم أن الرزق هو الخاصية التي تُوجَد للأحياء.

وعندما نقرأ قول الله :﴿ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩) ﴾ {آل عمران}

قد يقول قائل: من الجائز أنك تأخذ إنساناً وتُبقيه حَياً وتعطيه طعاماً وشراباً ، لكن ، أهو فَرِح بموقعه؟ لا ، لذلك يجب أنْ ندرك ونعرف أن حياة الشهيد ليست فى قبره ولكنها عند ربه ، وهو فرِح بموقعه لذلك.

ولذلك يُقال: احرص على الموت تُوهَب لك الحياة ؛ لذلك كان الفرار يوم الزحف كبيرة من الكبائر ؛ لأن الفرار يصنع خللاً فى المجتمع الإيمانى ، لأن معنى الزحف أن أعداء الإسلام أغاروا علينا ، وما داموا قد أغاروا علينا فكل مسلم يقف على ثُغْرة من ثغور الإسلام ، حتى لا يمكّن أعداء الإسلام من ديار الإسلام ، ولتظل كلمة الله هى العليا ، ففرار المسلم يعطى أُسْوة على ضَعْف الإيمان فى النفس.

لذلك ؛ لا تغترُّوا بأن هذا صار مؤمناً ، وذاك صار مؤمناً ، فلو كان مؤمناً حقاً ووثق بالغاية فهو لا يهاب القتال ، لأنه إنْ قُتِل صار شهيداً ومُبشَّراً من الله بكذا وكذا.

لذلك ، فالفرار فى يوم الزحف يعطى أُسْوة سيئة ليس فى الحرب فقط، بل سيعطى شيوع خلخلة إيمانية فى النفس البشرية.

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ أوضح أن المؤمن عندما يدخل الحرب يرغب فى أحد أمرين كلاهما حَسَن : النصر أو الشهادة ، فقال سبحانه :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ (٥٢) ﴾ {التوبة}

فالذى يدخل القتال هو أمام أمرين اثنين : إما أنْ يُقتل من الأعداء، وإما أنْ ينتصر، وهذه هى القضية الجدلية التى تنشأ بين معسكر الإيمان ومعسكر

الكفر ، والمقاتل من معسكر الإيمان يقول لمعسكر الكفر : أنا أقاتل لإحدى الحسنيين:

ـ إما أن أُقتل فأصبح شهيداً آخذ حياةً أفضل من هذه الحياة.

ـ وإما أنْ أنتصر عليك.

فماذا تتربّصون بنا أيها الكفار ؟

إن المؤمن يثق أنه فائز بكل شيء ، فإن قُتِل ذهب إلى الجنة وإلى حياة أفضل من حياتكم ، وإما أن ينتصر ، والحالتان على سواء من الخير.

وهكذا أزال الحق سبحانه وتعالى الخوف من نفوس المؤمنين، فماذا سيحدث لكم من جنود الكفر؟ إما أن تستشهدوا فتدخلوا الجنة، وإما أن تنتصروا.

ولذلك قال تعالى : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ...﴿١٣﴾﴾ {التوبة}

هذا استفهام استنكارى معناه: ما كان يصح أبداً أن تخشوهم وتخافوهم ؛ لأنهم لو كانوا أقوى منكم وتغلَّبوا عليكم فُزْتم بالشهادة ، ولو كانوا أضعف منكم وتغلبتم عليهم فُزْتم بالنصر.

وكلاهما أمر جميل مُحبَّب لنفوس المؤمنين بالله يُحدِث تثبيتاً لقلوبهم وأقدامهم فى مواقف القتال والنِّزَال.

ثم يأتى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بالحكم النهائى، فيقول:

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ {التوبة}

أى : راجِعوا إيمانكم، فإنْ كنتم مؤمنين بالله فأنتم راغبون فى الشهادة ، وإنْ كنتم مؤمنين بالله القادر القوى القهار فأنتم تعرفون الله وقدرته وقوته، وهى لا تُقارن بالقوة البشرية ، فإما أنْ تنتصروا عليهم ، فتكون لكم فرحة النصر ، وإما الاستشهاد وبلوغ الجنة ، وكلتا النتيجتين خير.